للأطفال

قصص الأنبياء ٢

١٠

يحيى

عليه السلام

إعداد
د. محمد علي

محمدي نبوي

المبدع الصغير

يَحْيَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ

كانَ زَكَرِيَّا عليه السلام شَيْخًا عَجُوزًا قَدْ ضَعُفَ عَظْمُهُ، وَامْتَلَأَ رَأْسُهُ بِالشَّعْرِ الأَبْيَضِ، وَأَحَسَّ أَنَّهُ لَنْ يَعِيشَ طَوِيلًا. وَكانَتْ زَوْجَتُهُ وَهِيَ خالَةُ مَرْيَمَ عليها السلام عَجُوزًا مِثْلَهُ. وَكانَ زَكَرِيَّا عليه السلام يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ يَرِثُ عِلْمَهُ وَيَصِيرُ نَبِيًّا وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَهْدِيَ قَوْمَهُ وَيَدْعُوَهُمْ إِلَى الدِّينِ الحَقِّ.

فَلَمَّا رَأَى زَكَرِيَّا عليه السلام هَذا الرِّزْقَ الَّذِي يَأْتِي مَرْيَمَ كُلَّ يَوْمٍ طَمِعَ فِي كَرَمِ اللهِ - الَّذِي قَدَرَ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ مَرْيَمَ عليها السلام بِالفاكِهَةِ فِي غَيْرِ وَقْتِها وَمِنْ غَيْرِ سَبَبٍ - أَنْ يُصْلِحَ زَوْجَتَهُ العاقِرَ لِلْوِلادَةِ، وَيَرْزُقَهُ وَلَدًا حَتَّى وَإِنْ بَلَغَ مِنَ العُمُرِ ما بَلَغَ هُوَ وَزَوْجَتُهُ.

فَاسْتَجابَ اللهُ تَعالَى دُعاءَ زَكَرِيَّا عليه السلام، وَنادَتْهُ المَلائِكَةُ تُبَشِّرُهُ وَهُوَ قائِمٌ يُصَلِّي فِي المِحْرابِ أَنَّ اللهَ سَيَرْزُقُهُ وَلَدًا اسْمُهُ يَحْيَى، وَيَكُونُ سَيِّدًا فِي قَوْمِهِ وَإِمامًا فِي العِلْمِ، وَسَيَكُونُ بِفَضْلِ اللهِ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِياءِ اللهِ الصَّالِحِينَ.

تَساءَلَ زَكَرِيَّا عليه السلام مِنْ شِدَّةِ الدَّهْشَةِ، وَسَأَلَ رَبَّهُ: كَيْفَ سَيَحْدُثُ هَذا وَهُوَ العَجُوزُ وَزَوْجَتُهُ امْرَأَةٌ عاقِرٌ لا تَلِدُ.

وَهَذِهِ القِصَّةُ تُعَلِّمُنا أَنَّ مَنْ يَدْعُو إِلَى اللهِ بِيَقِينٍ، لا بُدَّ أَنْ يُجِيبَ اللهُ دُعاءَهُ وَيُكْرِمَهُ بِما لا يَتَخَيَّلُهُ.

طُفُولَةُ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلامُ

وُلِدَ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلامُ وَكانَ مِيلادُهُ مُعْجِزَةً. وَكانَتْ طُفُولَتُهُ مُخْتَلِفَةً عَنْ طُفُولَةِ باقِي الأَطْفالِ؛ حَيْثُ كانَ مُعْظَمُ الأَطْفالِ يَلْعَبُونَ وَيَلْهُونَ، أَمَّا هُوَ فَكانَ جادًّا طَوالَ الوَقْتِ، لا يَقْضِي وَقْتَهُ إِلَّا فِيما يَنْفَعُهُ مِنَ العِلْمِ وَالقِراءَةِ؛ فَكانَ يُحِبُّ القِراءَةَ وَالعِلْمَ مُنْذُ طُفُولَتِهِ.

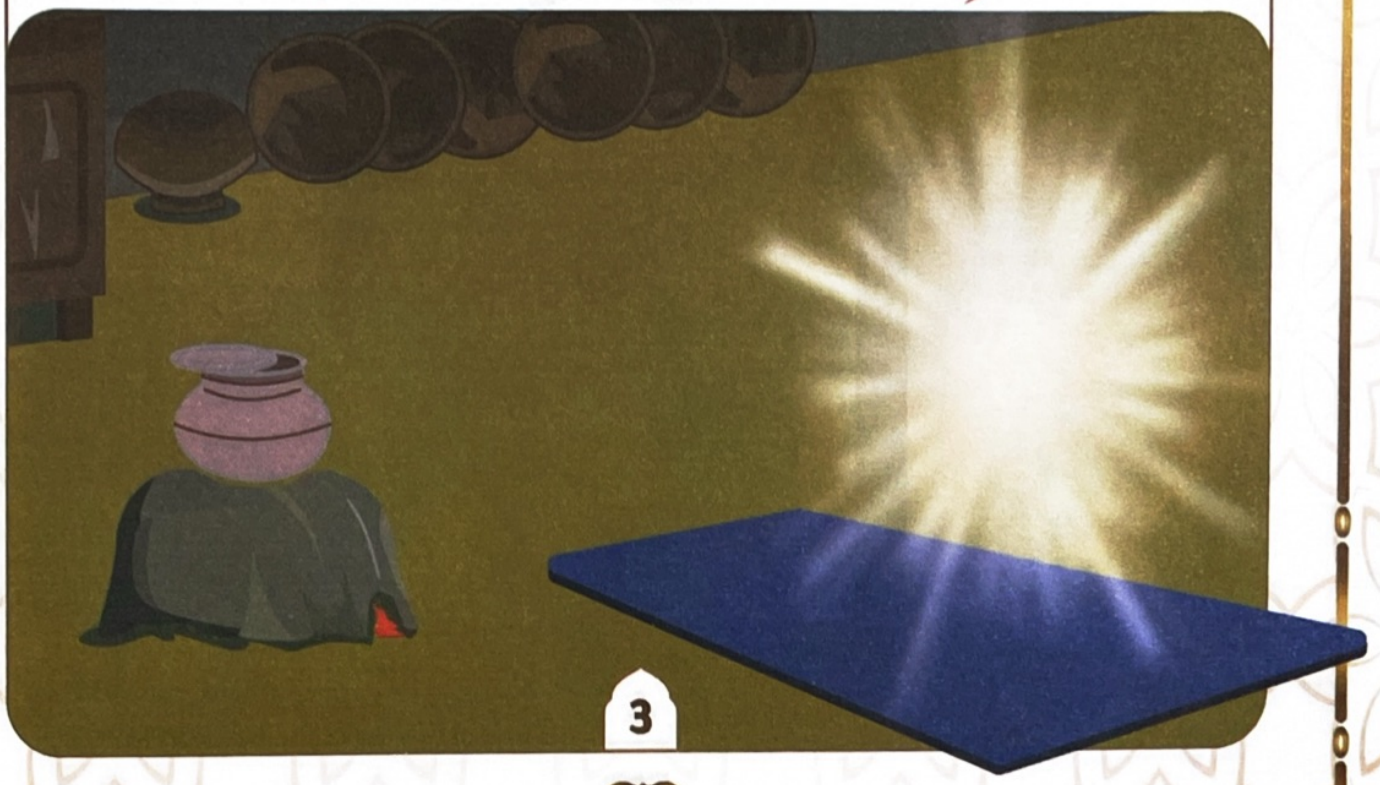

نَشَأَ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلامُ فِي بَيْتِ النُّبُوَّةِ فِي بَيْتِ زَكَرِيَّا أَبِيهِ؛ فَهُوَ نَبِيٌّ ابْنُ نَبِيٍّ. وَنَشَأَ الصَّبِيُّ فِي هَذا البَيْتِ نَشْأَةً صالِحَةً، فَكانَ يَتَرَبَّى عَلَى الإِيْمانِ وَالطَّاعَةِ، وَآتاهُ اللهُ العَقْلَ وَالحِكْمَةَ.

وَكُلَّما كَبُرَ يَحْيَى فِي السِّنِّ امْتَلَأَ قَلْبُهُ بِالإِيْمانِ وَحُبِّ اللهِ وَالعِلْمِ وَالرَّحْمَةِ وَالسَّلامِ، فَلَمَّا صارَ صَبِيًّا أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ بِالنُّبُوَّةِ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ مِنَ العُمُرِ العِشْرِينَ: ﴿يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم:١٢].

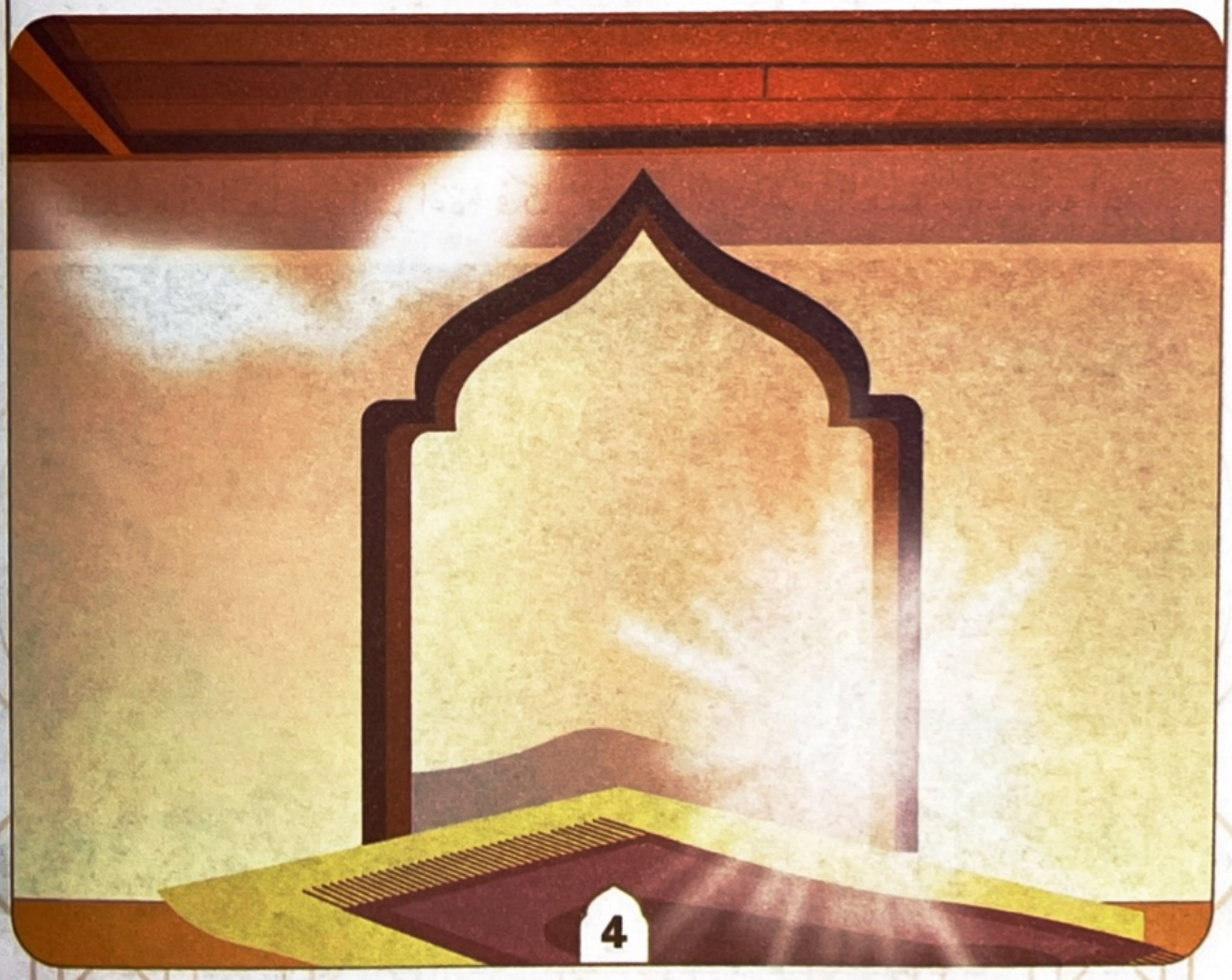

أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَأْخُذَ التَّوْراةَ بِقُوَّةٍ بِجِدٍّ وَاجْتِهادٍ، فَقَرَأَها وَعَمِلَ بِما فِيها، وَالْتَزَمَ بِأَوامِرِ اللهِ سُبْحانَهُ وَابْتَعَدَ عَنْ نَواهِيهِ.

وَكانَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَيَدْعُو اللهَ لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ. وَلَمْ يَكُنْ هُناكَ إِنْسانٌ يَكْرَهُ يَحْيَى عليه السلام أَوْ يَتَمَنَّى لَهُ الضَّرَرَ. وَكانَ مَحْبُوبًا لِرِفْقِهِ وَصَلاحِهِ وَعِلْمِهِ وَفَضْلِهِ.

وَكانَ يَحْيَى عليه السلام إِذا وَقَفَ بَيْنَ النَّاسِ لِيَدْعُوَهُمْ إِلَى اللهِ أَثَّرَ فِي قُلُوبِهِمْ بِصِدْقِ كَلِماتِهِ وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهِمْ.

وَكانَ حاكِمُ فِلَسْطِينَ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ رَجُلًا شِرِّيرًا، وَكانَ الفَسادُ مُنْتَشِرًا فِي بِلادِهِ، وَكانَ يَسْمَعُ أَخْبارًا كَثِيرَةً عَنْ يَحْيَى عليه السلام، فَيَنْدَهِشُ أَنَّ النَّاسَ يُحِبُّونَ أَحَدًا بِهَذا القَدْرِ، وَهُوَ مَلِكٌ وَرَغْمَ ذَلِكَ لا يُحِبُّهُ أَحَدٌ.

وَكانَتْ لَهُ ابْنَةُ أَخٍ شَدِيدَةُ الجَمالِ، فَأَرادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْها، وَكانَتِ البِنْتُ وَأُمُّها يَرْغَبانِ هَذا الزَّواجَ؛ طَمَعًا فِي المَلِكِ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هَذا حَرامٌ فِي دِينِهِمْ، فَأَرادَ المَلِكُ أَنْ يَأْخُذَ الإِذْنَ مِنْ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلامُ، فَذَهَبُوا يَسْتَفْتُونَ يَحْيَى وَيَعْرِضُونَ عَلَيْهِ الأَمْوالَ؛ لِيُفْتِيَ لَهُمْ بِجَوازِ ذَلِكَ.

لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الفَتاةِ أَيُّ مانِعٍ مِنَ الزَّواجِ بِالحَرامِ؛ فَلَقَدْ كانَتْ عاصِيَةً خَبِيثَةً. لَكِنَّ يَحْيَى عليه السلام أَعْلَنَ أَمامَ النَّاسِ تَحْرِيمَ زَواجِ البِنْتِ مِنْ عَمِّها، وَأَنَّ هَذا مُخالِفٌ لِلدِّينِ؛ فَغَضِبَ المَلِكُ وَامْتَنَعَ عَنِ الزَّواجِ.

لَكِنَّ الفَتاةَ كانَتْ لا تَزالُ طامِعَةً فِي المَلِكِ، فَحَزِنَتْ وَتَضايَقَتْ، وَذَهَبَتْ إِلَى أُمِّها، فَقالَتْ أُمُّها لَها: اطْلُبِي مِنَ المَلِكِ أَنْ يَأْتِيَكِ بِرَأْسِ يَحْيَى مَهْرًا لَكِ!

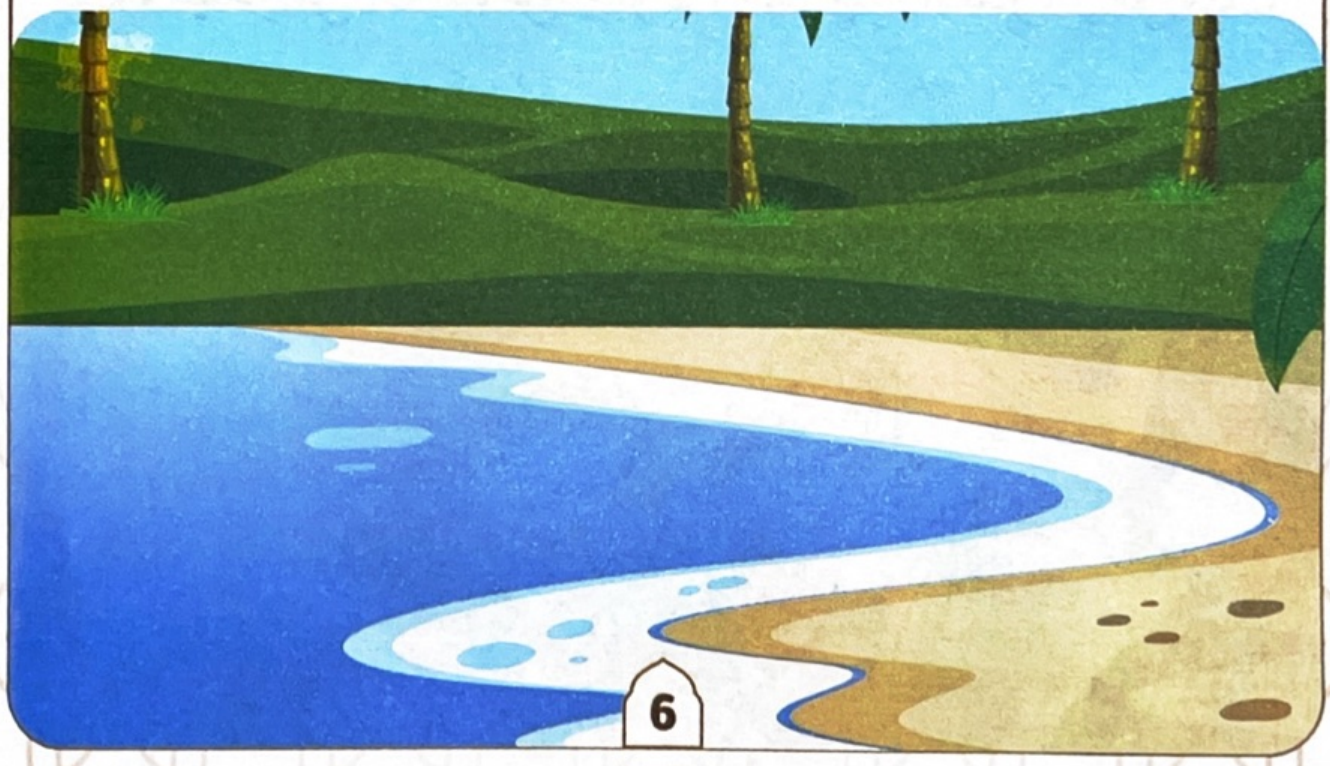

أَمَرَ المَلِكُ جُنُودَهُ بِإِحْضارِ رَأْسِ يَحْيَى لَهُ، فَذَهَبَ الجُنُودُ وَدَخَلُوا عَلَى يَحْيَى عليه السلام وَهُوَ قائِمٌ يُصَلِّي فِي المِحْرابِ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ صَلاتِهِ، قَطَعُوا رَأْسَهُ بِالسَّيْفِ، فَقُدِّمَ رَأْسُ يَحْيَى فِي طَبَقٍ، وَالدَّمُ يَنْزِفُ مِنْهُ إِلَى هَذِهِ المَرْأَةِ الخَبِيثَةِ، وَتَزَوَّجَها المَلِكُ بِالحَرامِ.

وَجاءَ تَلامِيذُ يَحْيَى عليه السلام وَأَخَذُوا جُثَّتَهُ وَدَفَنُوها، وَكانَ اللهُ مُطَّلِعًا عَلَى كُلِّ ذَلِكَ، فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا لِنَبِيِّهِ، وَانْتَقَمَ لَهُ، وَخَسَفَ اللهُ الأَرْضَ بِالمَلِكِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَخَدَمِهِ فِي نَفْسِ اللَّيْلَةِ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا، قالَتْ بَنُو إِسْرائِيلَ: قَدْ غَضِبَ إِلَهُ زَكَرِيَّا لِزَكَرِيَّا، فَتَعالَوا حَتَّى نَغْضَبَ لِمَلِكِنا، فَنَقْتُلَ زَكَرِيَّا.

فَلَمْ يَتْرُكْ بَنُو إِسْرائِيلَ (الَّذِينَ قَتَلُوا الكَثِيرَ مِنَ الأَنْبِياءِ) زَكَرِيَّا النَّبِيَّ (الشَّيْخَ الكَبِيرَ)، حَتَّى نَشَرُوهُ بِالمِنْشارِ نِصْفَيْنِ اثْنَيْنِ. وَهَكَذا كانَ بَنُو إِسْرائِيلَ إِذا لَمْ يُعْجِبْهُمْ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِياءِ إِمَّا كَذَّبُوهُ وَكَفَرُوا بِهِ، وَإِمَّا قَتَلُوهُ. لَقَدْ نَشَرُوا زَكَرِيَّا بِالمِنْشارِ، وَقَطَعُوا رَأْسَ يَحْيَى بِالسَّيْفِ.

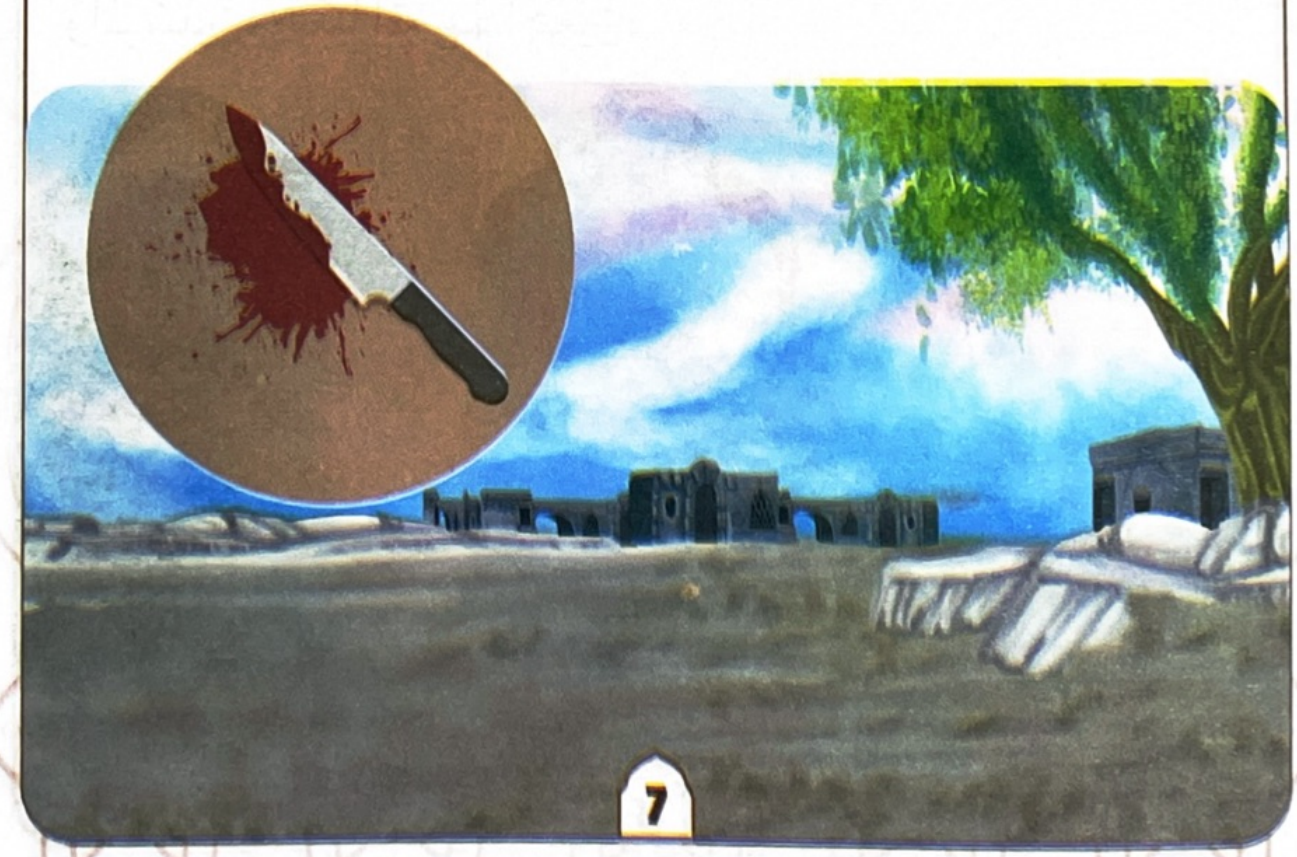

وَهَكَذا كانَ يَحْيَى عليه السلام مِثالًا فَرِيدًا فِي العِبادَةِ وَالزُّهْدِ وَالتَّقْوَى وَالصَّلاحِ وَمَحَبَّةِ النَّاسِ، حَتَّى أَحَبَّهُ جَمِيعُ الخَلْقِ، ثُمَّ قَتَلَ المَلِكُ الظَّالِمُ يَحْيَى عَلَيهِ السَّلَامُ؛ لِأَنَّهُ قالَ كَلِمَةَ حَقٍّ أَمامَهُ، وَقَتَلَ أَباهُ زَكَرِيَّا المُجْرِمُونَ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ؛ اِنْتِقامًا لِمَلِكِهِمْ.

وَهَذانِ النَّبِيَّانِ الكَرِيمانِ، وَإِنْ كانا قُتِلا ظُلْمًا، فَقَدِ انْتَصَرَتْ دَعْوَتُهُما؛ دَعْوَةُ الحَقِّ وَالمَحَبَّةِ وَالسَّلامِ، وَبَقِي أَتْباعُهُمْ وَأَتْباعُ الأَنْبِياءِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَانْهَزَمَ المُجْرِمُونَ أَعْداءُ النَّبِيِّينَ، فَلا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِشَرٍّ، وَيَدْعُو عَلَيْهِمُ الصَّالِحُونَ إِلَى قِيامِ السَّاعَةِ، وَلَعَذابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى.

أَمَّا زَكَرِيَّا وَيَحْيَى عليهما السلام فَهُما شَهِيدانِ فِي الجَنَّةِ يَتَنَعَّمانِ مَعَ سائِرِ الأَنْبِياءِ وَالمُرْسَلِينَ، جَمَعَنا اللهُ بِهِمْ أَجْمَعِينَ.